وفيه أربعة مباحث:

- **المبحث الأول: التكريم بالموت**

المطلب الأول: الموت مكرمة للمؤمن

المطلب الثاني: حال المؤمن عند الموت

- **المبحث الثاني: التكريم ما بعد الموت**

المطلب الأول: مبشرات المؤمن

المطلب الثاني: حال المؤمنين في البرزخ

- **المبحث الثالث: التكريم يوم القيامة**

المطلب الأول: صور من التكريم الروحي

المطلب الثاني: تكريم الشهداء يوم القيامة

- **المبحث الرابع: التكريم بالحياة الأبدية في الجنة**

المطلب الأول: أهل الجنة مكرمون

المطلب الثاني: علو المقام

المبحث الأول

التكريم بالموت

المطلب الأول: الموت مكرمة للمؤمن

الإنسان ليس مجرد جرم صغير، ولكنه عالم وحده يمتدّ باستعداداته إلى عالم آخر، لقد هيّأ الله تعالى الإنسان إلى عالم الخلود، وأعدّ له هناك نعيما مقيما ونُزلاً كريماً، فهو لن يصير إلى عبث، ولا إلى عدم وفي هذا تكريم عظيم له.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ ﴾ [النحل: ٧٠].

﴿أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ «أي أخسّه وأدونه، وهو الهرم والخرف حتى لا يعقل، ويكون في حال أسوأ من الصغير الذي لم يمييز»[(١)].

﴿لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ﴾ «أي ليعود إلى ما كان عليه في أوان الطفولة من ضعف البنية وسخافة العقل، وقلة الفهم، فينسى ما علمه وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه»[(٢)].

فالموت مكرمة عظيمة من الله تعالى لعباده بعد أن تهرم الأجسام وتخرف العقول وتضعف البنية، وكان النبي (ﷺ) يتعوذ بالله من أن يُرد إلى أرذل العمر.

عن مُصعَبِ بن سعدٍ عن سعدِ بن أبي وقاصٍ (رضيَ الله عنهما) «كان يأمرُ بهؤلاءِ

---

(١) الأشقر، محمد سليمان عبد الله. **زبدة التفسير من فتح القدير**. مختصر تفسير فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية من علم التفسير. للإمام الشوكاني. ط١. الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (١٩٨٥م). ص٤٣٣.

(٢) الصابوني، محمد علي. **صفوة التفاسير**. مكة المكرمة: دار الصابوني. ج٢: ص١١٢.

الخمسِ ويُحَدِّثُهنَّ عن النبيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ مِنْ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**»(١).

وأما عن التكريم الذي يناله الإنسان المؤمن المستقيم على توحيد الله وطاعته عند الموت يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

«أي تتنزل عليهم ملائكة الرحمة عند الموت»(٢).

«فهي أَمَنَةٌ عامة في كل همٍّ مستأنف، وتسلية تامة عن كل فائت ماض. وقال مجاهد(٣): المعنى لا تخافون ما تقدمون عليه، ولا تحزنوا على ما خلفتم من دنياكم»(٤).

وروى الثعالبي(٥) في تفسيره أن:

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الدعوات. باب التعوذ من عذاب القبر. ح (٦٠٠٤). ج٥: ص٢٣٤١. والترمذي، **سنن الترمذي**. كتاب الدعوات. باب في دعاء النبي (ﷺ) وتعوذه في دبر كل صلاة. ح (٣٥٦٧). ص٨١٠. والنسائي، **سنن النسائي**. كتاب الاستعاذة. باب الاستعاذة من شر الكِبْر، ح (٥٤٩٥). ص٨٢٨.

(٢) جبر، **روائع البيان**. ص٤٨٠.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) ابن عطية، **المحرر الوجيز**. ج٥: ص١٥.

(٥) هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري المالكي، كان إماماً علامة مصنفاً اختصر تفسير ابن عطية في جزءين وشرح ابن الحاجب الفرعي في جزءين وعمل في الوعظ والرقائق وغير ذلك ومات في سنة ست وسبعين وثمانمائة، أو في أواخر التي قبلها عن نحو تسعين سنة رحمه الله. ينظر: السخاوي، **الضوء اللامع**. ج٤: ص١٥٢. والبابانى، **هدية العارفين**. ج١: ص٥٣٢.

«البشرى في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث»[1].

«فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير، وتقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أولياؤكم، أي قرناؤكم في الحياة الدنيا، نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور»[2].

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ «أنه تعالى أخبر عن الملائكة أنهم في أول الأمر يخبرون بأنه لا خوف عليكم بسبب ما تستقبلونه من أحوال القيامة، ثم يخبرون بأنه لا حزن عليكم بسبب ما فاتكم من أحوال الدنيا، وعند حصول هذين الأمرين فقد زالت المضار والمتاعب بالكلية، ثم بعد الفراغ منه يبشرون بحصول المنافع وهو قوله تعالى: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾»[3].

المطلب الثاني: حال المؤمن عند الموت

النبي (ﷺ) بيّن لنا حال المؤمن عند خروج الروح حيث نجد مدى إكرام الله تعالى للمؤمن وكيف أن الملائكة يبشرونه ويرفقون به، فعن البراء بن عازب (رضي الله عنه) قال خرجنا مع رسول (ﷺ) في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد قال: فجلس رسول الله (ﷺ) وجلسنا حوله كان على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به قال: فرفع رأسه وقال: «**اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلاَئِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى**

---

(١) الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي (ت٨٧٥هـ). **تفسير الثعالبي المسمى بـ (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)**. تحقيق علي محمد عوض وعادل أحمد عبد الموجود وعبد الفتاح أبو سنّة. ط١. لبنان - بيروت: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التأريخ العربي، (١٤١٨هـ=١٩٩٧م). ج٥: ص١٣٦.

(٢) الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**. ج٣: ص٢٦٢.

(٣) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٧: ص٥٦١.

يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ، وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلاَ يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَلإٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ، إِلاَّ قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلاَنُ ابْنُ فُلاَنٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ...»[1].

وفي الحكمة من عدم وصل نعيم الآخرة وثوابها بنعيم الدنيا مباشرة دون حدوث الموت والذي يكون ذلك في الإنعام أبلغ في اذهان البعض، يقول الامام الفخر الرازي[2] «هذا كالمفسدة في حق المكلفين لأنه متى عجل للمرء الثواب فيما يتحمله من المشقة في الطاعات صار إتيانه بالطاعات لأجل تلك المنافع لا لأجل طاعة الله، يبين ذلك أنه لو قيل لمن يصلي ويصوم إذا فعلت ذلك أدخلناك الجنة في الحال، فإنه لا يأتي بذلك الفعل إلا لطلب الجنة، فلا جرم أخّره الله تعالى وبعّده بالإماتة ثم الإعادة ليكون العبد عابدا لربه بطاعته لا لطلب الانتفاع»[3].

وعن أبي قتادة (رضي الله عنه) أنه كان يحدث أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مُرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ فَقَالَ «**مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ**». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ، فَقَالَ:

---

(١) البيهقي، **شعب الإيمان**. باب فصل في عذاب القبر. ح (٣٩٥). ج١. ص٣٥٥. والتبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب. **مشكاة المصابيح**. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. ط٣. بيروت: المكتب الإسلامي، (١٤٠٥هـ=١٩٨٥م). ج١: ص٣٦٨. (صحيح)

(٢) سبق ترجمته.

(٣) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٣: ص٢٦٧.

«**الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلاَدُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ**»[1].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «**الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ**»[2].

«فكل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة مكلف بفعل الطاعات الشاقة، فإذا مات استراح من هذا وانقلب إلى ما أعدّ الله تعالى له من النعيم الدائم والراحة الخاصة من النقصان، وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا مع قلته وتكديره بالمنغصات فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد»[3].

وعَنْ أَبِي مُوسَى (رضي الله عنه) **عَنِ النَّبِي** (ﷺ) «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ**»[4].

«أي المصير إلى ديار الآخرة بمعنى أن المؤمن عند الغرغرة يبشر برضوان الله وجنته فيكون موته أحب إليه من حياته (أحب الله لقاءه) أي أفاض عليه فضله وأكثر عطاياه (ومن كره لقاء الله) حين يرى ماله من العذاب حالتئذ (كره الله لقاءه) أبعده من رحمته

---

(١) **متفق عليه**، البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب الرقاق. باب سكرات الموت. ح (٦١٤٧). ج٥: ص٢٣٨٨. ومسلم، **صحيح مسلم**. كتاب الجنائز. باب ما جاء في مستريح ومستراح منه. ح (٩٥٠). ص٣٦٨.

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**. كتاب الزهد والرقائق. باب ما بين النفختين. ح (٢٩٥٦). ص١١٨٧. وابن ماجه. **سنن ابن ماجه**. باب مثل الدنيا. ح (٤١١٣). ج٢: ص١٣٧٨.

(٣) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ). **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**. ط٢. بيروت: دار إحياء التراث العربي، (١٣٩٢هـ). كتاب الزهد. ج١٨: ص٩٣.

(٤) **متفق عليه**، البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الرقائق. باب من احب لقاء الله أحب الله لقاءه. ح (٦١٤٣). ج٥: ص٢٣٨٧. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الذكر والدعاء. باب من احب لقاء الله. ح (٢٦٨٦). ص١٠٧٨.

وأدناه من نقمته، وعلى قدر نفرة النفس من الموت يكون ضعف منال النفس من المعرفة التي بها تأنس بربها فتتمنى لقاءه، والقصد بيان وصفهم بأنهم يحبون لقاء الله حين أحب الله لقاءهم لأن المحبة صفة الله ومحبة العبد ربه منعكسة منها»[1].

«والكراهة المعتبرة هي التي تكون عند الترع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها، فحينئذ يبشر كل انسان بما هو صائر إليه وما أعدّ له ويكشف له عن ذلك، فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله لينتقلوا إلى ما أعدّ لهم ويحب الله لقاءهم أي فيجزل لهم العطاء والكرامة، وأهل الشقاوة يكرهون لقاءه لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه، ويكره الله لقاءهم أي يبعدهم عن رحمته وكرامته ولا يريد ذلك بهم وهذا معنى كراهته سبحانه لقاءهم»[2].

ومما سبق تبين ان الموت هو أول هدية للمؤمن من الله عند مفارقته هذه الحياة، فإكرام الله لعبده المؤمن عند الموت لا يعد ولا يحد، فالهدايا العظيمة التي تتري من الله للعبد المؤمن عند لقاء ربه تتوالى عليه ليفرح بلقاء الله فيفرح الله بلقائه، وهذا للمؤمن الذي عاش مستقيماً على الطاعة، ولم يصر على المعاصي، وتاب منها قبل وفاته، فالمؤمن الذى له هذا الخير وله هذا الفضل وله هذا الكرم هو المؤمن الذى يوالى الله بطاعته فيواليه الله بكرمه وجوده وعطاءاته[3]، ويقول فيه الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

ويقول سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢].

---

(١) المناوي، محمد عبد الرؤوف. **فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير**. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٥هـ=١٩٩٤م). ج٣: ص٧٤. والبرهان فوري، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت٩٧٥هـ). **كنز العمال في سنن الاقوال والافعال**. مؤسسة الرسالة. ج٢٠: ص٣٢٤.

(٢) النووي، **المنهاج**. كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. ج١٧: ص٩-١٠.

(٣) ينظر: أبو زيد، فوزي محمد. **بشائر المؤمن عند الموت**. ط١. القاهرة: دار الإيمان والحياة، (١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م). ص٤١.

إذاً فالموت بالنسبة للمؤمن ليس فيها تعب ولا نصب، ولا أي شيء يخوّفه أو يحزنه كما جاء في الحديث السابق، فتخرج النفس بيسر وسلاسة وتحملها الملائكة فتفوح منها روائح طيبة ليس لها مثيل، وتسلك طريقاً لا تجد فيه غير الفرح والسعادة والسرور، مشيعاً من قبل ملائكة السماء لا يعلم عددهم الا الله العليم الخبير.

المبحث الثاني

التكريم ما بعد الموت

المطلب الأول: مبشرات المؤمن

قال الله تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [يونس: ٦٤].

والمبشرات تبدأ من الدنيا فإن الله عز وجل، أعدّ لعباده المؤمنين من ألوان التكريم ومن أصناف الجود الإلهي ما لا يفي به نطق، فهي نِعَم غير معدودة ولا محصورة فبدأ بالخلق ثم بنفخ الروح ثم بسجود الملائكة ثم بالحياة الدنيا كما أسلفنا في الفصول السابقة.

ومن المبشرات ايضاً ما ورده القرطبي(١) في كتابه «التذكرة» حيث خصص باباً عما جاء في بشرى المؤمن في قبره، فعن كعب الأحبار(٢) أنه قال: «إذا وضع العبد الصالح في قبره احتوشته أعماله الصالحة فتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه: فتقول الصلاة: إليكم عنه، فيأتون من قبل رأسه فيقول الصيام: لا سبيل لكم عليه فقد أطال ظمأه لله عز وجل في دار الدنيا، فيأتون من قبل جسمه فيقول الحج والجهاد: إليكم عنه، فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله عز وجل لا سبيل لكم عليه، فيأتون من قبل يديه، فتقول الصدقة: كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين، حتى وقعت في يد الله عز وجل ابتغاء لوجهه، فلا سبيل لكم عليه قال: فيقال له: نم هنيئاً، طبت حياً وطبت ميتاً»[٣].

قال القرطبي معلقاً: «هذا لمن أخلص في عمله وصدق الله في قوله وفعله وأحسن نيته له في سره وجهره، فهو الذي تكون أعماله حجة له، ودافعة عنه، فإن الناس مختلفو الحال

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت ٦٧١هـ). **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**. تحقيق الصادق بن محمد بن إبراهيم. ط١. الرياض: دار المنهاج، (١٤٢٥ هـ). ص٤٠٥.

في خلوص الأعمال، والله أعلم»[1].

ومن الكرامة أيضاً الثبات على الإيمان في الدنيا والآخرة بمعونة الله سبحانه وتعالى وفي ذلك يقول جل شأنه: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

حيث يخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين على الثواب والكرامة، الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها، وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين، للجواب الصحيح، إذا قيل للميت «من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ «هداهم للجواب الصحيح بأن يقول المؤمن: «الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبيي، فالثبات على الطاعة يوجب الثبات في الثواب والكرامة من الله تعالى»[2].

﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ «عن الصواب في الدنيا والآخرة، وما ظلمهم الله ولكنهم ظلموا أنفسهم، وفي هذه الآية دلالة على فتنة القبر وعذابه، ونعيمه، كما تواترت بذلك النصوص عن النبي ﷺ في الفتنة، وصفتها، ونعيم القبر وعذابه»[3].

وفي الحديث الذي رواه البيهقي في شعب الإيمان الذي ذكرنا قسماً منه في المبحث السابق ورد عنه (ﷺ) أنه قال عن العبد المؤمن: «... **فَيَأْتِيه مَلَكَان فَيُجْلسَانه، فَيَقُولان لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولاَن لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسلاَم، فَيَقُولاَن لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذي بُعثَ فيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّه ﷺ فَيَقُولاَن لَهُ: وَمَا علْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّه، فَآمَنْتُ به وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِى مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ**

---

(١) القرطبي، **التذكرة**. ص٤٠٥.

(٢) ينظر: **المصدر نفسه**، ص٤٢٥. والفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج١٩: ص٩٣.

(٣) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص٤٢٥.

عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلى أَهْلِي وَمَالِي»[1].

وأما عن الكافر فقال (ﷺ) «... **وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لاَ أَدْرِي، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لاَ أَدْرِي، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لاَ أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاَعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لاَ تُقِمِ السَّاعَةَ»**[2].

ومن هذا الحديث يتبين فضل المؤمن وكرامته، وأنه في نعيم دائم منذ أن يخرج روحه إلى أن يخلد في دار المقامة، دار السلام التي يكرم الله تعالى بها عباده الصالحين.

المطلب الثاني: حال المؤمنين في البرزخ

وقد يظن البعض أن الموت هو نهاية الحياة، في حين أن الحقيقة التي ذكرها كتاب الله تعالى وبينها سيدنا رسول الله (ﷺ) هي أن الموت للجسم، أما الروح فلا تموت ولا تفوت، وإنما تنتقل إلى دار تسمى (دار البرزخ)[3] يقول الله تعالى: ﴿... وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ينظر: أبو زيد، **بشائر المؤمن**. ص٢١ وما بعدها.

ذكر الماوردي[1] في تفسير البرزخ آراء وقال: «وفيه خمسة أقاويل أحدها: أنه حاجز بين الموت والبعث، والثاني: حاجز بين الدنيا والآخرة، والثالث: حاجز بين الميت ورجوعه للدنيا، والرابع: أن البرزخ الإمهال ليوم القيامة، والخامس: هو الأجل ما بين النفختين وبينهما أربعون سنة»[2].

ونجد بأن الآراء الخمسة متفقة على أن البرزخ هو أول مرحلة بعد الموت من مراحل الانتقال إلى الآخرة.

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧- ١٨].

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ «التي لا يقادر قدرها، ولا يعلم وصفها، إلا من أكرمهم بها، وهذا شامل للبشرى في الحياة الدنيا بالثناء الحسن، والرؤيا الصالحة، والعناية الربانية من اللّه، التي يرون في خلالها، أنه مريد لإكرامهم في الدنيا والآخرة، ولهم البشرى في الآخرة عند الموت، وفي القبر، وفي القيامة، وخاتمة البشرى ما يبشرهم به الرب الكريم، من دوام رضوانه وبره وإحسانه وحلول أمانه في الجنة»[3].

ومن كرم الله تعالى للإنسان المؤمن أن أرواحهم تتلاقى وتتزاور بعد الموت وفي ذلك قال ابن القيم الجوزية[4] عندما سُئل هل أرواح الموتى تتلاقى وتتزاور وتتذاكر أم لا؟

فقال: «وهي أيضاً مسألة شريفة كبيرة القدر وجوابها أن الأرواح قسمان: أرواح معذبة وأرواح منعمة فالمعذبة في شغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي، والأرواح المنعمة المرسلة غير المحبوسة تتلاقي وتتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) الماوردي، **النكت والعيون**. ج٤: ص٦٦ -٦٧.

(٣) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص٧٢١.

(٤) سبق ترجمته.

فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على مثل عملها وروح نبينا محمد في الرفيق الأعلى قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء: ٦٩]. وهذه المعية ثابتة في الدنيا وفي الدار البرزخ وفي دار الجزاء والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاثة»[(١)].

وعن مسروق[(٢)] قال: قال أصحاب رسول الله (ﷺ) أو من شاء الله منهم: يا رسول الله ما ينبغي لنا أن نفارقك في الدنيا فإنك لو مت رفعت فوقنا، فلم نراك، فأنزل الله ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء: ٦٩][(٣)].

وفي تفسير هذه الآية قال الامام الفخر الرازي[(٤)]:

«ومعلوم أنه ليس المراد من كون هؤلاء معهم هو أنهم يكونون في عين تلك الدرجات، لأن هذا ممتنع، فلا بد وأن يكون معناه أن الأرواح الناقصة إذا استكملت علائقها مع الأرواح الكاملة في الدنيا لسبب الحب الشديد، فاذا فارقت هذا العالم ووصلت إلى عالم الآخرة بقيت تلك العلائق الروحانية هناك، ثم تصير تلك الأرواح الصافية كالمرايا المجلوة المتقابلة، فكأن هذه المرايا ينعكس الشعاع من بعضها على بعض، وبسبب هذه الانعكاسات

---

(١) ابن القيم، **الروح**. ص١٧. وينظر: القرطبي، **التذكرة**. ص٢٦٨.

(٢) هو مسروق بن الأجدع الهمداني، كنيته أبو عائشة، عداده في كبار التابعين، ومن المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي (ﷺ)، روى عن علي، وابن مسعود، الفقيه العابد، صاحب ابن مسعود، وكان يصلي حتى تورم قدماه، وحج فما نام إلا ساجداً، وعن الشّعبي قال: ما رأيت أطلب للعلم منه، كان أعلم بالفتوى من شريح، سمي مسروقاً لأنه سرق وهو صغير ثم وجد، توفي سنة ثلاث وستين. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**. ج٤: ص٦٣-٦٩. وابن العماد، **شذرات الذهب**. ج١: ص٢٨٥.

(٣) ينظر: ابن أبي شيبة، الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ابراهيم بن عثمان ابن أبي بسكر بن أبي شيبة الكوفي العبسي (ت٢٣٥هـ). **المصنف في الأحاديث والآثار**. دار الفكر. ج٧: ص١٤٢.

(٤) سبق ترجمته.

تصير أنوارها في غاية القوة، فكذا القول في تلك الأرواح فإنها لما كانت مجلوة بصقالة المجاهدة عن غبار حب ما سوى الله، وذلك هو المراد من طاعة الله وطاعة الرسول، ثم ارتفعت الحجب الجسدانية أشرقت عليها أنوار جلال الله، ثم انعكست تلك الأنوار من بعضها إلى بعض وصارت الأرواح الناقصة كاملة بسبب تلك العلائق الروحانية»[1].

وفي القرآن الكريم قصص كثيرة يتبين فيها تكريم الله تعالى للإنسان الذي يستحق ذلك التكريم، ونذكر منها قصة مؤمن سورة يس الذي قُتل في سبيل الله قال تعالى: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦-٢٧].

حيث قال الله تعالى له إذ قتلوه كذلك فلقيه ﴿ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ فلما دخلها وعاين ما أكرمه الله به لإيمانه وصبره فيه يقول: يا ليتهم يعلمون أن السبب الذي من أجله غفر لي ربي ذنوبي، وجعلني من الذين أكرمهم الله بإدخاله إياه جنته، كان إيماني بالله وصبري فيه، حتى قتلت، فيؤمنوا بالله ويستوجبوا الجنة[2].

«والمراد بالمكرمين: الذين تلحقهم كرامة الله تعالى وهم الملائكة والأنبياء وأفضل الصالحين قال تعالى: ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] يعني الملائكة وعيسى عليهم السلام»[3].

ونلفت بأن (قصة مؤمن سورة ياسين) عامة في اللفظ وخاصة في السبب، (والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)[4]، أي ان كل من مات أو استشهد في سبيل الله تشمله هذه المكرمة الربانية.

---

(١) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج١٠: ص١٣٣.

(٢) ينظر: الطبري، **جامع البيان**. ج٢٠: ص٥٠٩.

(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٢٢: ص٣٧١.

(٤) ينظر: الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت ٧٩٠هـ). **الموافقات في أصول الشريعة**. تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. ط١. دار ابن عفان، (١٤١٧هـ= ١٩٩٧م). ج٤: ص٣٨-٤١.

وعن بريدة (ﷺ) قال: كان النبيّ (ﷺ) يعلّمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: «**السَّلامُ عَلَيْكُمْ أهْلَ الدّيارِ مِنَ المؤْمِنِينَ، وإنَّا إنْ شاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَلاحِقُونَ، أسألُ اللَّهُ لَنَا ولَكُمُ العافِيَةَ**»(١).

«وفي هذا الحديث دليل لاستحباب زيارة القبور والسلام على أهلها والدعاء لهم والترحم عليهم»(٢).

وعن عائشة (رضي اللّه عنها) قالت: قال رسول اللّه (ﷺ): «**لا تَسُبُّوا الأمْوَاتَ فإنَّهُمْ قَدْ أفْضَوْا إلى ما قَدَّمُوا**»(٣).

وعنها (رضي اللّه عنها) قالت: قال رسول الله (ﷺ) «**كسرُ عظمِ الميتِ ككسرِه حياً**»(٤).

قال الحافظ ابن حجر(٥) «أن حرمة المؤمن بعد موته باقية كما كانت في حياته»(٦).

فالإنسان المؤمن مكرّم حياً وميتاً، وحث الإسلام على التعامل مع الميت كالحي في الحرمة والكرامة والدعاء والاحسان اليه، فكما حماه في الحياة يحميه بعد الممات تكريماً له وتشريفاً لمكانته.

(١) مسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الجنائز. باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها. ح (٩٧٥). ص٣٧٦-٣٧٧.

(٢) النووي، **المنهاج**. كتاب الجنائز. ج٧: ص٤١.

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب الجنائز. باب ما ينهى من سب الأموات. ح (١٣٢٩). ج١: ص٤٧٠.

(٤) ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**. كتاب الجنائز. باب في النهي عن كسر عظام الميت. ح (١٦١٦). ج١: ص٥١٦. (صحيح)

(٥) سبق ترجمته.

(٦) ابن حجر، **فتح الباري**. ج٩: ص١١٣.

المبحث الثالث

التكريم يوم القيامة

المطلب الأول: صور من التكريم الروحي

هناك صور كثيرة وأنواع عديدة من التكريم الإلهي للإنسان يوم القيامة والتي تخص المؤمنين، وقد لا يستوعب هذا المبحث جميعها، لكن نذكر صوراً منها.

۞ أولاً: رؤية الله تعالى:

فقد أورد اللالكائي[1] في شرحه لـ(أصول الاعتقاد) مفسراً لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] «أن أفضل كرامة الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة هي النظر إلى وجهه الكريم، ونضرته إياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فورب السماء والأرض ليجعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثوابا لينضر بها وجوههم دون المجرمين الذين هم عن ربهم يومئذ محجوبون، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]»[2].

وأن جمهور أهل السنة يتمسكون بهذه الآية ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ في إثبات أن المؤمنين يرون الله تعالى يوم القيامة، وهي رؤية دون محاذاة ولا تكييف ولا تحديد كما هو معلوم، موجود لا يشبه الموجودات كذلك هو لا يشبه المرئيات في شيء، فإنه

---

(١) هو محمد بن هبة الله بن الحسن بن منصور، أبو بكر بن أبي القاسم الطبري اللالكائي الرازي، سمع الحديث الكثير، وتفقه على أبي حامد الإسفراييني، وصنف كتباً. وحدث عن هلال الحفار وغيره، وكان ثقة كثير السماع، توفي في يوم الجمعة الرابع عشر من جمادى الأولى سنة ثماني عشر وأربعمائة للهجرة). ينظر: ابن الجوزي، **المنتظم**. ج١٦: ص٢٠٧-٢٠٨. وابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت٦٣٠هـ). **الكامل في التاريخ** تحقيق عمر عبد السلام تدمري. ط١. بيروت: دار الكتاب العربي، (١٤١٧هـ=١٩٩٧م). ج٧: ص٧٠٤.

(٢) اللالكائي، **أصول اعتقاد أهل السنة**. ج: ٣. ص٥٥٦.

ليس كمثله شيء لا إله إلا هو، (وجوه يومئذ)، يعني يوم القيامة (ناضرة) حسنة جميلة من النعيم؛ يقال من ذلك: نَضُر وجه فلان: إذا حَسُن من النعمة، ونضَّرَ الله وجهه: إذا حسَّنه كذلك، فهي تنظر إلى الخالق، وحُقَّ لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق[1].

۞ ثانياً: دخول الجنة بغير حساب:

ومن الكرامة يوم القيامة دخول طائفة من أمة محمد (ﷺ) بغير حساب، مما لهم من الكرامة والفضل، قال تعالى: ﴿... إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿... وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال: «**يَدْخُلُ مِنْ أُمّتِي الْجَنّةَ سَبْعُونَ أَلْفاً بغير حسَاب**» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللّه ادْعُ اللّه أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. قَالَ: «**اللّهُمّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ**» ثُمّ قَامَ آخَرُ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّه ادْعُ اللّه أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. قَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكّاشَةُ**»[2].

قال النووي: «فيه عِظَمُ ما أكرم الله سبحانه وتعالى به النبيَّ ﷺ وَأُمَّتَهُ زادها الله فضلاً وشرفاً[3].

۞ ثالثاً: الشفاعة:

ومن التكريم للإنسان يوم القيامة الشفاعة بإذنه سبحانه وتعالى، ومنها الشفاعة العظمى للنبي (ﷺ) والتي تناله جميع الخلائق، فالشفاعة يوم القيامة قسمان:

أ. **الشفاعة العظمى**: وهي من المقام المحمود الذي وعده الله إياه، في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

---

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان**. ج٢٤: ص٧١ وما بعدها. وابن عطية، **المحرر الوجيز**. ج٥: ص٤٠٥. والفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٣٠: ص٧٣٠.

(٢) **متفق عليه**، البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الرقاق. باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب. ح (٦١٧٥). ج٥: ص٢٣٦٩. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الإيمان. باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب. ح (٢١٦). ص١١٦.

(٣) النووي، **المنهاج**. ج٣: ص٨٨.

وحقيقة هذه الشفاعة هي أن يشفع لجميع الخلق حين يؤخر الله الحساب فيطول بهم الانتظار في أرض المحشر يوم القيامة فيبلغ بهم من الغم والكرب ما لا يطيقون، فيقولون: من يشفع لنا إلى ربنا حتى يفصل بين العباد، يتمنون التحول من هذا المكان، فيأتي الناس إلى الأنبياء فيقول كل واحد منهم: لست لها، حتى إذا أتوا إلى نبينا محمد (ﷺ) فيقول: «أنا لها، أنا لها». فيشفع لهم في فصل القضاء، فهذه الشفاعة العظمى، وهي من خصائص النبي (ﷺ)[1].

والأحاديث الدالة على هذه الشفاعة كثيرة في الصحيحين وغيرهما ومنها عن ابن عمر رضي الله عنهما: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثاً، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود»[2].

ب. شفاعته ﷺ للمسلمين وأهل التوحيد.

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: حَدّثَنَا مُحَمّدٌ ﷺ قَالَ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النّاسُ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ. فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ: اشْفَعْ لذُرّيّتِكَ. فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا... فَأُوتَى فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا. فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبّي. فَيُؤْذَنُ لِي. فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْه. فَأَحْمَدُهُ بمَحَامِدَ لاَ أَقْدِرُ عَلَيْه الآنَ. يُلْهِمُنيه الله. ثُمّ أَخِرّ لَهُ سَاجِداً. فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمّدُ ارْفَعْ رأْسكَ. وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ. وَسَلْ تُعْطَهْ. وَاشْفَعْ تُشَفّعْ. فَأَقُولُ: رَبّ أُمّتي. أُمّتي. فَيُقَالُ: انْطَلِقْ. فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِه مِثْقَالُ حَبّة مِنْ بُرّة أو شَعِيرَة مِنْ إِيمَان فَأَخْرِجْهُ منْهَا. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ. ثُمّ أَرْجِعُ إلى رَبّي فَأَحْمَدُهُ بتلْكَ الْمَحَامد ثُمّ أَخِرّ لَهُ سَاجِداً. فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ... فَأَقُولُ: أُمّتي. أُمّتي. فَيُقَالُ لِيَ: انْطَلِقْ. فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِه مِثْقَالُ حَبّة مِنْ خَرْدَل مِنْ إِيمَان فَأَخْرِجْهُ منْهَا. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ. ثُمّ أَعُودُ إلى رَبّي فَأَحْمَدُهُ بتلْكَ الْمَحَامد. ثُمّ أَخِرّ لَهُ سَاجِداً. فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ... فَأَقُولُ: يَا رَبّ أُمّتي أُمّتي. فَيُقَالُ لِيَ: انْطَلِقْ. فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِه أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبّة مِنْ**

---

(١) ينظر: الهيثمي، **مجمع الزوائد**. ج٤: ص٣٤٤.

(٢) البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب التفسير. باب عسى ان يبعثك ربك مقاما محمـــوداً. ح (٤٤٤١). ج٤: ص١٧٤٨.

خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ»[1].

ومن خلال ما سبق يتضح أن الشفاعة المثبتة هي الشفاعة المتعلقة بإذن الله ورضاه، لأن الشفاعة كلها ملك له، وهي من الكرامة التي يكرم بها عباده يوم القيامة.

۞ رابعاً. جزاء الأعمال بأحسن ما كانوا يعملون:

ومن التكريم أيضاً جزاء الأعمال يوم القيامة بأحسن ما كانوا يعملون، وجاء في القرآن الكريم الوعد بأن المؤمنين سينالون مكافأتهم يوم القيامة بأفضل أعمالهم وليس المتوسط العام لها (على اختلاف المفسرين) وهذا من فضل الله وكرمه سبحانه.

قال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٦].

وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٥].

«أن هذه الآيات للوعد بالخيرات، والمبالغة في تقرير الوعد من أعظم دلائل الكرم»[2].

«ويحتمل وجهين: أحدهما: أن يجازي على أحسن الأعمال وهي الطاعة، دون المباح منها، الثاني: مضاعفة الجزاء وهو الأحسن، كما قال تعالى: ﴿**مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٦٠]»[3].

---

(١) البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الرقاق. باب صفة الجنة والنار. ح (٦١٩٢). ج٥: ص٢٤٠٠. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الإيمان. باب أدنى أهل الجنة مترلة فيها. ح (١٩٣). ص١٠٧. (واللفظ لمسلم)

(٢) ابن عادل، **اللباب**. ج١٢: ص١٥٣.

(٣) الماوردي، **النكت والعيون**. ج٣: ص٢١٢.

وقوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ قرأه بالنون ابن عامر بخلفه وابن كثير وعاصم وأبو جعفر (ولنجزين)، وقرأه الباقون (وليجزين) بالياء ولم يختلفوا في قوله ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ أنه بالنون، واللام هي الموطئة، أي: لنجزينهم بسبب صبرهم على ما نالهم من مشاقّ التكليف وجهاد الكافرين والصبر على ما ينالهم منهم من الإيذاء بأحسن ما كانوا يعملون من الطاعات، وقيل: وإنما خصّ أحسن أعمالهم؛ لأن ما عداه وهو الحسن مباح، والجزاء إنما يكون على الطاعة، وقيل: المعنى: ولنجزينهم بجزاء أشرف وأوفر من عملهم، أو لنجزينهم بحسب أحسن أفراد أعمالهم، على معنى لنعطينهم بمقابلة الفرد الأدنى من أعمالهم المذكورة ما نعطيهم بمقابلة الفرد الأعلى منها من الجزاء الجزيل، لا أنا نعطي الأجر بحسب أفرادها المتفاوتة في مراتب الحسن بأن نجزي الحسن منها بالأجر الحسن، والأحسن بالأحسن[1].

وقال أبو السعود[2]: «وإنما أضيف إليه الأحسنُ للإشعار بكمال حسنِه لا لإفادة قصرِ الجزاءِ على الأحسن منه دون الحسَن، فإن ذلك مما لا يخطر ببال أحد، لا سيما بعد قوله تعالى: (أجرهم) أو (لنجزينهم) بحسب أحسنِ أفرادِ أعمالهم المذكور، على معنى

---

(١) ينظر: سالم، **فريدة الدهر**. ج٣: ص٢٤٥. والشوكاني، **فتح القدير**. ج٣: ص٢٢٩. والشنقيطي، **أضواء البيان**. ج٢: ص٤٣٩-٤٤٠.

(٢) هو أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى، العمادي الحنفي، مفسر، شاعر، المولود سنة (٨٩٨هـ)، بقرية قريبة من القسطنطينية (مدينة اسطنبول التركية حالياً)، قرأ كثيراً من كتب العلم على والده، وتتلمذ لكثير من جلّة العلماء، فاستفاد منهم علما جمّاً، وكان حاضر الذهن سريع البديهة، ثم طارت سمعته، وفاضت شهرته، وعظم صيته، وتولى التدريس في كثير من المدارس التركية، ثم قُلّد قضاء بروسة، ثم نُقل إلى قضاء القسطنطينية، وهو صاحب التفسير "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" و"تحفة الطلاب" و"رسالة في مسائل الوقوف" وغيرها من الكتب، توفي سنة (٩٨٢هـ)، وهو مدفون في جوار مرقد أبي أيوب الأنصاري. ينظر: ابن العماد، **شذرات الذهب**. ج١٠: ص٥٨٤. والذهبي، **التفسير والمفسرون**. ج١: ص٢٤٥-٢٥٣.

لنعطيهم بمقابلة الفردِ الأدنى من أعمالهم المذكورة ما نعطيه بمقابلة الفردِ الأعلى منها من الأجر الجزيلِ، لا أنا نُعطي الأجر بحسب أفرادِها المتفاوتةِ في مراتب الحسن، بأن نجزيَ الحسنَ منها بالأجر الحسَنِ والأحسنَ بالأحسن»[1].

فالله سبحانه وتعالى بكرمه ولطفه يكرمهم في الحساب كما اكرمهم في الدنيا، وكما يكرمهم في مستقر رحمته في الجنة.

المطلب الثاني: تكريم الشهداء يوم القيامة

وتأتي بعد ذلك الكرامة التي ينالها الشهيد الذي يُقْتل في سبيل الله، حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩- ١٧٠].

فهذه الآيات الكريمات فيها فضل الشهداء وكرامتهم، وما منَّ الله عليهم به من فضله وإحسانه، فقال: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي: في جهاد أعداء الدين، قاصدين بذلك إعلاء كلمة الله، ﴿أَمْوَٰتًۢا ﴾ أي: لا يخطر ببالك وحسبانك أنهم ماتوا وفقدوا، وذهبت عنهم لذة الحياة الدنيا والتمتع بزهرتها، (بل) قد حصل لهم أعظم مما يتنافس فيه المتنافسون. فهم ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ في دار كرامته[2].

فجمع الله لهم بين نعيم البدن بالرزق، ونعيم القلب والروح بالفرح بما آتاهم من فضله: فتم لهم النعيم والسرور، وجعلوا ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾ أي: يبشر بعضهم بعضاً، بوصول إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم، وأنهم سينالون ما نالوا، ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ أي: يستبشرون بزوال المحذور عنهم وعن إخوانهم المستلزم كمال السرور، وفي هذه الآيات إثبات نعيم البرزخ، وأن الشهداء في أعلى مكان

---

(١) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**. ج٥: ص١٣٨ -١٣٩. (بتصرف)

(٢) ينظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص١٥٦.

عند ربهم، وفيه تلاقي أرواح أهل الخير، وزيارة بعضهم بعضا، وتبشير بعضهم بعضا[1].

وقال تعالى: ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾ [يس: ٢٦- ٢٧].

«والمراد بالمكرمين: الذين تلحقهم كرامة الله تعالى»[2].

وعن المقدام بن معدي كرب (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيَأْمَنُ مِنْ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنْ الْحُورِ الْعِينِ وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ**»[3].

وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلى الدُّنْيَا غَيْرُ الشَّهِيدِ فَإِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلى الدُّنْيَا يَقُولُ حَتَّى أُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِمَّا يَرَى مِمَّا أَعْطَاهُ مِنْ الْكَرَامَةِ**»[4].

وعنه (رضي الله عنه) عَنْ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلى الدُّنْيَا وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا إِلا الشَّهِيدَ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى**»[5].

---

(١) ينظر: **المصدر نفسه**، ص١٥٦.

(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٢٢: ص٣٧١.

(٣) الترمذي، **سنن الترمذي**. كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله (ﷺ). باب في ثواب الشهيد. ح (١٦٦٣). ص٣٨٩-٣٩٠. (قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب).

(٤) **المصدر نفسه**، ح (١٦٦١). ص٣٨٩. (حسن صحيح)

(٥) **متفق عليه**، البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الجهاد والسير. باب الحور العين وصفتهن. ح (٢٦٤٢). ج٣: ص١٠٢٩. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الإمارة. باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى. ح (١٨٧٧). ص٧٨٣.

قال ابن بطال[1] «هذا الحديث أجلّ ما جاء في فضل الشهادة، قال وليس في أعمال البر ما تبذل فيه النفس غير الجهاد فلذلك عظم فيه الثواب»[2].

وعَنْ مَسْرُوقٍ[3] قَالَ سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ (ابن مسعود) عَنْ هَذِهِ الآيَةِ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ قَالَ أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ[4]: **«أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلاَعَةً فَقَالَ هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا قَالُوا أَيِّ شَيءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى. فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا»**[5].

قال أبو حامد الغزالي[6]: «ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة لأن المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع العلائق عن غيره فإن قدر عبد على أن يجعل همه مستغرقاً بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صف القتال فإنه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فإنه يريدها لحياته وقد هون على قلبه حياته في حب الله عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرد لله أعظم من ذلك ولذلك عظم أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى»[7].

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) ابن حجر، **فتح الباري**. ج٦: ص٣٢.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) يعني النبي (ﷺ). ينظر: النووي، **المنهاج**. ج١٣: ص٣١.

(٥) مسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الإمارة. باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون. ح (١٨٨٧). ص٧٨٥.

(٦) سبق ترجمته.

(٧) الغزالي، **إحياء علوم الدين**. ج١: ص٣٠٣.

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال سمعت النبي (ﷺ) يقول: «**وَالَّذي نَفْسي بيَده لَوْلاَ أَنَّ رِجَالاً منَ الْمُؤْمنينَ لاَ تَطيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي وَلاَ أَجدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْه مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّة تَغْزُو في سَبيلِ اللَّه وَالَّذي نَفْسي بيَده لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ في سَبيلِ اللَّهِ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلَ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلَ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلَ**»[1].

«وهو يدل على تمني الخير وأفعال البر والرغبة فيها، وفيه فضل الشهادة على سائر أعمال البر، لأنه عليه السلام تمناها دون غيرها، وذلك لرفيع منزلتها وكرامة أهلها»[2].

ومما سبق يُعلم بأن أكرم الناس يوم القيامة منزلةً بعد الأنبياء والصديقين هم الشهداء، الذين يقدمون أغلى ما يمتلكون في سبيل إحياء الأمة، فالشهيد يعيش معاني النصر ويسمو بوعد الله، وكلما اتضحت الأهداف للإنسان وكلما أعدّ العدّة ليقوم بخدمة هذه الأهداف وتحقيقها في نفسه وفي الحياة من حوله وكلما اتّسعت دائرة النفع به كانت قيمة الإنسان، فليس من يعمل لنفسه كمن يعمل لغيره، وليس من يعمل لقريته كمن يعمل لأمته، وليس من يعمل لأمته كمن يعمل للإنسانية جمعاء، فالناس يتفاوتون، وعلى قدر إيمان المرء تتفاوت منزلته، هناك أناس آتاهم الله من الإيمان ما يستطيعون أن يواجهوا به المشكلات ويتخطوا به العقبات ويصنعوا به ما يشبه المستحيلات، ولذلك قالوا فرد ذو همة، يحيي أمة. ودماء الشهداء كانت دائماً وقوداً لحركات الجهاد وتحرير البلدان من الظلم والجور وتنويرها بنور الإسلام وعدله، وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد الأحد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، فهنا تشمخ الشهادةُ وتعلو منزلة الشهيد، وتأتي المكرمة الإلهية وتتنزّل الملائكة من كلّ حدب وصوب لاصطحاب الروح الطيبة العملاقة في معراجها من قمّة الأرض إلى قمّة السماء.

(١) البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب الجهاد والسير. باب تمني الشهادة. ح (٢٦٤٤). ج٣: ص١٠٣٠.

(٢) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج٥: ص١٦٣.

المبحث الرابع

التكريم بالحياة الأبدية في الجنة

المطلب الأول: أهل الجنة مكرمون

۞ أولاً: بحسن اللقاء:

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ٤١ فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ٤٢ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٤٣ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الصافات: ٤١- ٤٤].

﴿فَوَٰكِهُۖ﴾ «وفيه قولان الأول: أن الفاكهة عبارة عما يؤكل لأجل التلذذ لا لأجل الحاجة، وأرزاق أهل الجنة كلها فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات، فإنهم أجسام محكمة مخلوقة للأبد، فكل ما يأكلونه فهو على سبيل التلذذ والثاني: أن المقصود من ذكر الفاكهة التنبيه بالأدنى على الأعلى، يعني لما كانت الفاكهة حاضرة أبداً كان الأدام أولى بالحضور، والقول الأول أقرب إلى التحقيق، واعلم أنه تعالى لما ذكر الأكل بين أن ذلك الأكل حاصل مع الإكرام والتعظيم فقال: وهم مكرمون لأن الأكل الخالي عن التعظيم يليق بالبهائم»[(١)].

﴿وَهُم مُّكۡرَمُونَ﴾ أي فهم معظَّمون، لا يلحقهم هوان وذلك أعظم المثوبات وأليقها بأولي الهمم، و﴿وَهُم مُّكۡرَمُونَ﴾ عطف على ﴿لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ﴾ أي يعاملون بالحفاوة والبهجة، فإنه وسط في أثناء وصف ما أعدّ لهم من النعيم الجسماني، ولعل هذا إشارة إلى النعيم الروحاني بعد النعيم الجسماني الذي هو بواسطة الأكل، ونعيم الكرامة أهم لأن به انتعاش النفس مع ما في ذلك من خلوص النعمة ممن يكدرها، ذلك لأن الإحسان قد يكون غير مقترن بمدح وتعظيم ولا بأذى وهو الغالب، وقد يكون مقترنا بأذى وذلك يكدر من صفوه، فإذا كان الإحسان مع عبارات الكرامة وحسن التلقي فذلك الثواب

---

(١) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٦: ص٣٣٢.

وتتميم بليغ للنعيم لأنه ربَّ مرزوق غير مكرم، وقيل مكرمون في نيل الرزق حيث يصل إليهم من غير كسب وكد وسؤال كما هو شأن أرزاق الدنيا[1].

فالإكرام: التعظيم وحسن اللقاء، أي هم مع جزائهم بنعيم الجنات يكرمون بحسن اللقاء والثناء وهو من أعظم ما يجب أن تتوق إليه نفوس ذوي الهمم، كما أنّ من أعظم ما يجب أن تنفر عنه نفوسهم هوان أهل النار وصغارهم[2].

فالله سبحانه وتعالى قضى بأن يعلي شأنهم، فيكرمهم بأنواع الكرامات فيتلقاهم بالبشرى حين الموت وفي قبورهم ومن حين قيامهم من قبورهم إلى دخولهم إلى قصورهم هذا حال المؤمنين[3].

ومن الآية السابقة اتضح أن هذا النص من كلام الله تعالى جمع بين لون من النعيم الحسي ولون من النعيم الروحي، فهم في جنات، وهم يلقون الكرامة في هذه الجنات، فتجتمع لهم اللذة بالنعيم مع التكريم، جزاء على هذا الخلق الكريم، الذي يتميز به المؤمنون[4].

۞ ثانياً: برؤية الله تعالى في الجنة:

ومن أعظم أنواع التكريم لأهل الجنة هو رؤية الله تعالى، وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة، وهذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلّها، فقد دل الكتاب والسنة على أن المؤمنين يرون ربهم سبحانه وتعالى في الجنة، من غير إحاطة

---

(١) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**. ج٤: ص٤٧١. والبيضاوي، **أنوار التنزيل**. ج٥: ص٩. وابن عجيبة، **البحر المديد**. ج٤: ص٥٩٧ والآلوسي، **روح المعاني**. ج١٢: ص٨٣. وابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٢٣: ص١١١-١١٢.

(٢) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**. ج٤: ص٤٤. وابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٢٩ ص١٧٥.

(٣) ينظر: الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد (ت ٩٧٧هـ).**السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**. بيروت: دار الكتب العلمية، ج٤: ص٢٨٠.

(٤) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**. ج٦: ص٣٧٠٢.

ولا كيفية، وعلى ذلك أجمع الصحابة والتابعون ومن بعدهم من أهل الهدى[1].

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]. أي: حسنة بهية، لها رونق ونور، مما هم فيه من نعيم القلوب، وبهجة النفوس، ولذة الأرواح، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: تنظر إلى ربها على حسب مراتبهم: منهم من ينظره كل يوم بكرة وعشياً، ومنهم من ينظره كل جمعة مرة واحدة، فيتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وجماله الباهر، الذي ليس كمثله شيء، فإذا رأوه نسوا ما هم فيه من النعيم وحصل لهم من اللذة والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، ونضرت وجوههم فازدادوا جمالاً إلى جمالهم[2].

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦].

والرسول (ﷺ) بيّن بأن هذه الآية الكريمة تشير إلى رؤية المؤمنين لله تعالى في الجنة، فعن صهيب (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ**» وبالإسناد ذاته زيادة عن حماد بن سلمة ثم تلا «أي النبي (ﷺ)» هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[3].

---

(١) ينظر: الباقلاني، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر المالكي (ت٤٠٣هـ). **تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل**. تحقيق عماد الدين أحمد حيدر. ط١. لبنان: مؤسسة الكتب الثقافية، (١٤٠٧هـ=١٩٨٧م). ص٣٠١ وما بعدها. واللالكائي، **شرح أصول الاعتقاد**. ج٣: ص٥٢٠. والغزنوي، **أصول الدين**. ص١٧. وابن ابي العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين الصالحي الدمشقي (ت ٧٩٢هـ). **شرح العقيدة الطحاوية**. تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد الله بن المحسن التركي. ط١٠. بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م) ج١: ص٢٠٧-٢٠٨.

(٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص٨٩٩-٩٠٠.

(٣) مسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الإيمان. باب معرفة طريق الرؤية. ح (١٨١). ص٩٩.

وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قالت فرقة وهي الجمهور: «الْحُسْنى» الجنة و«الزيادة» النظر إلى وجه الله عز وجل وهو أصرح ما ورد في تفسيرها[1].

وعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أن أناساً في زمن النبي (ﷺ) قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال النبي (ﷺ): «**نَعَمْ هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ قَالُوا لا قَالَ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ قَالُوا لا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا...**»[2].

قال النووي[3]: أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلاً وأجمعوا أيضاً على وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين ورواها نحو من عشرين صحابياً عن رسول الله ﷺ

---

(١) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**. ج٣: ص١١٥. وابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج١١. ص١٤٦.

(٢) **متفق عليه**، البخاري. **صحيح البخاري**. باب ان الله لا يظلم مثقال ذرة. ح (٤٣٠٥). ج٤: ص١٦٧١. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الإيمان. باب معرفة طريق الرؤية. ح (١٨٣). ص١٠٠.

(٣) هو شيخ الإسلام محيي الدّين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرّي الفقيه الشافعي، الحافظ الزّاهد، أحد الأعلام النّواوي، ولد في المحرم سنة (٦٣١هـ) بنوى (مدينة سورية)، ولزم الاشتغال ليلاً ونهاراً نحو عشرين سنة، حتّى فاق الأقران، وتقدم على جميع الطلبة، ثم أخذ في التصنيف، وسمع الكثير من الرّضي بن البرهان، والزّين خالد، وشيخ الشيوخ عبد العزيز الحموي وأقرانهم. وكان مع تبحّره في العلم وسعة معرفته بالحديث، والفقه، واللغة، وغير ذلك مما قد سارت به الرّكبان، رأساً في الزّهد، وقدوة في الورع، عديم المثل في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، كان قد صرف أوقاته كلّها في أنواع العلم والعمل بالعلم، من تصانيفه "الروضة" و"المنهاج" و"شرح المهذّب" سماه "المجموع" و"المنهاج في شرح مسلم" وكتاب "الأذكار" و"رياض الصالحين" وغير ذلك من الكتب القيّمة، توفي سنة ست وسبعين وستمائة ودفن ببلده رحمه الله ينظر: السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**. ج٨: ص٣٩٥- ٤٠٠. وابن العماد، **شذرات الذهب**. ج٧: ص٦٢١.

وآيات القرآن فيها مشهورة، وأما رؤية الله تعالى في الدنيا فإنها ممكنة ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم أنها لا تقع في الدنيا[1].

المطلب الثاني: علو المقام

۞ أولاً: خلود بلا موت:

ومن التكريم لأهل الجنة الخلود بلا موت، والذي يعتبر عاملاً مؤثراً من العوامل النفسية التي يزدادون بها فرحاً وبهجةً وسروراً، فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلى الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إِلى النَّارِ جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُذْبَحُ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ لا مَوْتَ فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحاً إِلى فَرَحِهِمْ وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْناً إِلى حُزْنِهِمْ**»[2].

وهذا مصداق لقوله تعالى الذي يتبين فيه بأنه لا حزن في الجنة، وأن أهل الجنة لا يمسهم نصب ولا لغوب، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٤-٣٥].

حيث أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان ما كان منها لمعاش، أو معاد، وهذا من أرجح الأقوال، والمقامة مصدر ميمي من أقام بالمكان إذا قطنه، والمراد: دار الخلود، والفضل: العطاء، وهو أخو التفضل في أنه عطاء منه وكرم، ومن فضل الله أن جعل لهم الجنة جزاء على الأعمال الصالحة لأنه لو شاء لما جعل للصالحات عطاء ولكان جزاؤها مجرد السلامة من العقاب، وكان أمر من لم يستحق الخلود في النار كفافاً، أي لا عقاب ولا ثواب فيبقى

---

(١) النووي، **المنهاج**. ج٣: ص١٥. (بتصرف)

(٢) **متفق عليه**، البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الرقاق. باب صفة الجنة والنار. ح (٦١٨٢). ج٥: ص٢٣٩٧. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الجنة. باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ح (٢٨٥٠). ص١١٤٤. وفي رواية لمسلم عن ابي سعيد الخدري: "**يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح...فيُؤمَرُ به فيُذبَحُ**". ح (٢٨٤٩). ص١١٤٣-١١٤٤.

كالسوائم، وإنما أرادوا من هذا تمام الشكر والمبالغة في التأدب، والمس: الإصابة في ابتداء أمرها، والنصب: التعب من نحو شدة حر وشدة برد. واللغوب: الإعياء من جراء عمل أو جري. وإعادة الفعل المنفي في قوله: ولا يمسنا فيها لغوب لتأكيد انتفاء المس[1].

۞ ثانياً: إحلال الرضوان:

ومن التكريم لأهل الجنة إحلال الرضوان عليهم فلا سخط بعده أبداً.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٧- ٨].

وعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ فَيَقُولُ هَلْ رَضِيتُمْ فَيَقُولُونَ وَمَا لَنَا لا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ فَيَقُولُ أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالُوا يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُ أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً**»[2].

ويُسْتَفَادُ من هذا الحديث أن مقامَ الرضا فوق جميع المقامات، وحلول رضوانه عليهم

---

(١) ينظر: الشوكاني، **فتح القدير**. ج٤: ص٤٠٢. وابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٢٢: ص٣١٦-٣١٧.

(٢) **متفق عليه**، البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الرقاق. باب صفة الجنة والنار. ح (٦١٨٣). ج٥: ص٢٣٩٨. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الجنة. باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً. ح (٢٨٢٩). ص١١٣٧.

أنعم لنفوسهم من كل ما خولهم في جناته تعالى[1].

وهكذا فإن التكريم الإلهي يحفّ بالإنسان من جميع جوانبه منذ أن خلقه الله سبحانه، وأودع فيه فطرة التوحيد والإسلام، وأسجد له ملائكته، وكلّفه بالعبادة والخلافة، وكرّمه في الحياة بالإيمان والهداية، وفي الآخرة بالجنان، إن اختار طريق الرحمن، لقد كرّم الله هذا الإنسان يوم خلق، ويوم يموت، ويوم يبعث حيّا.

(١) ينظر: ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك البكري القرطبي. **شرح صحيح البخاري**. تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم. ط٢. السعودية - الرياض: مكتبة الرشد، (١٤٢٣هـ=٢٠٠٣م). ج١٠: ص٥١٧-٥١٨. والكشميري، محمد أنور (ت١٣٥٢هـ). **فيض الباري على صحيح البخاري**. تحقيق محمد بدر عالم الميرتهي. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م). ج٦: ص٢٨٨.